٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملهم للحق لمن استحق • والصلوة والسلام على نبيه الذى
بين لنا من الدين ما خفى ودق • وعلى آله واصحابه وتابعيه واخرا
امّا بعد فهذه رسالة عملتها فى حكم اعتقادنا معاشر اهل السنة
والجماعة فى جميع عباد الله الطايعين والعاصين وبينت
ذلك على احسن بيان وتقرير واكمل اتقان وتحرير وسميت
ذلك الكوكب الوقاد • فى حسن الاعتقاد • ومن الله تعالى استمد
التوفيق والاعانة على هذه الابانة اعلم اولا ان الله تعالى لمّا
قبض القبضتين قبضة السعادة وقبضة الشقاوة عند ما مسح
على ظهر آدم عليه السلام يوم الميثاق ثم بسط القبضتين فنظر
اليهم وهم امثال الذر ثم قال هولاء الى الجنة ولا ابالى فهم
بعمل اهل الجنة يعملون وهولاء الى النار ولا ابالى فهم بعمل
اهل النار يعملون ثم اشهدهم على انفسهم فقال الله تعالى
الست بربكم قالوا بلى شهدنا واشهد عليهم الملائكة وآدم
عليه السلام انهم اقروا بربوبيته ثم ردهم الى مكانهم وانما
كانوا احيا فلما ردهم الى صلب آدم عليه السلام اماتهم وقبض
ارواحهم وجعلها عنده فى خزانة من خزاين العرش •

فاذا سقطت النطفة المنفوسة اقرت فى الرحم حتى اذا تمت صورتها
نفخ الله فيها الروح ورد اليها سرها المقبوض منها الذى
خبئ لها زمانا من خزانة العرش فعند ذلك يضطرب الجنين
فى بطن امه ثم يخرج فى وقته المعلوم الى عالم الدنيا حتى يبلغ
سن التكليف فيدخل تحت الخطاب فى الامر والنهى ويترتب له
الثواب والعقاب وتنتظمه الاحكام الشرعية والتكاليف
الاسلامية ويظهر فيه سر قوله بلى فى عالم الذر لانه هو الابتلاء
والمحن ومحل المعاناة والفتن فحينئذ يفترض عليه لزوم المشى
على الصراط المستقيم لتثبت عليه قدماه فى يوم القيامة
ولا تزل لانه طريق الجنة ليس اليها سبيل الا بالمرور عليه فان
بكل خطوة على صراط الدنيا له بها خطوة غدا على صراط الآخرة
ومتى زل فى هذا زل فى ذاك بلا فرق ولا شبهة ولا شك
والصراط المستقيم الدنيوى هو ما جاءت به المرسلون من ربهم
الى الخلق وذلك اما من حيث الاعتقاد او العمل فما هو من
حيث الاعتقاد لا تختلف فيه الشرايع والملل وذلك من
وجوب الايمان بالله تعالى ذاتا وصفاتا وافعالا والايمان
بالنبوة والرسالة ومظاهرهما الشخصية والايمان باحوال
الآخرة وما هو من حيث العمل وهذا هو الذى تختلف فيه الشرايع
والملل فالشرع السابق منسوخ بالشرع اللاحق عموما او خصوصا
وحكمة ذلك ان الاعمال انشاآت وهى مبنية على اختلاف الازمنة
والدهور والاحوال والحكيم الحاكم بها بصير فيخاطب اهل كل زمن

زمن بما تقتضيه حكمته مما هو يعلمه واما الاعتقاد فهو اخبار حق صدق
لا يتصور فيه الكذب فكيف يمكن فيه النسخ ولهذا خاطب الله
تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله قل صدق الله فاتبعوا ملة
ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين والمراد ملته في الاعتقاد وه
ولذلك نفى عنه الشرك وهو من الاعتقاد لا من الاعمال
ولا يأمر الله تعالى باتباع ملة غير ملة محمد صلى الله عليه وسلم
من الملل المنسوخة اذا علمت هذا فاعلم ان الانسان المكلف
اذا مشى على الصراط المستقيم كما ذكرنا فمشيه هذا ليس الا سببا
لنجاته يخلق الله تعالى النجاة عنده لا به ولا فيه لان من قال
النجاة به فقد قال بان الله تعالى يحتاج في خلق النجاة الى الآلة
وهي العمل فيلزم افتقار الله تعالى الى العمل والعمل من جملة خلقه
قال تعالى والله خلقكم وما تعملون اي وعملكم وذلك محال
لثبوت الغنا المطلق لله تعالى قال تعالى والله غني عن العالمين
ومن قال النجاة في العمل واراد ان العمل يؤثر في النجاة بقوة
مودعة فيه بخلق الله تعالى فقد اثبت الشريك لله تعالى
وهو في وقت ما قاتل وتنبه فلا محيص ان يقول ان العمل
سبب لخلق الله تعالى النجاة عنده كما قدمنا والاسباب
لا يلزم على الله اطرادها فقد يوجد السبب ولا يوجد المسبب
وقد يوجد المسبب ولا يوجد السبب وقد يخلق الله تعالى
العمل ولا يخلق النجاة عنده وقد يخلق النجاة ولا يخلق العمل
عندها ومرادنا بالعمل هنا عمل القلب وهو الاعتقاد وعمل

الجوارح وهو الطاعات فحينئذ ليس هذا العمل بنوعيه الا محض
شكر لله تعالى على نعمتي الايجاد والامداد وبيهات بيهات
ان يفي ذلك بذلك مالم يتدارك اللطيف المالك وانشكر
فرض قال تعالى ان اشكر لله وهو سر العبودية ونتيجة الخلق
قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فمن لم يعبد
لم يشكر ومن لم يشكر الله فهو كافر بالله تعالى والنجاة انما هي
بمحض فضل الله تعالى لا غير ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
والله ذو الفضل العظيم ومشية الله تعالى التي فضله معلق
عليها مغيبة عن خلقه كلهم لانها من الغيب الذي استأثر الله
الغيب
تعالى بعلمه فلا يمكن علمها الا بتعليمه قال تعالى عالم فلا يظهر على غيبه
احدا الا من ارتضى من رسول الآية فتقرر لنا ان غير المرسلين لا
يعلمون بنجاة احد معين ولا بنجاته مطلقا فلا يجوز لهم القطع لاحد
بعينه من المؤمنين او الكافرين الاحياء او الاموات بنجاة او
بهلاك عند الله تعالى قال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم
ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا وانما
يجب على الجميع التوقف بالقلب وباللسان لانه كما يحاسب
على اللسان واقواله يحاسب على القلب وما يضمره من الوساوس
وليس لقائل ان يقول ان القلب اذا هم بالمعصية لا تكتب لان
المراد بالمعصية معصية لا تتم بعمل القلب بل لا بد لتمامها من
حركة الجوارح كالزنا وشرب الخمر ونحو ذلك واما المعصية التي
تتم بالقلب ولا تحتاج الى الجوارح كالحسد وظن السوء فيأثم عليها

عليها صاحبها بمجرد القلب اذ لا تحتاج الى شئ آخر فيتوقف الجميع
في حق كل احد بعينه ولا يخوضون بمجرد الظنون والوساوس حتى
تخبر المرسلون بما اخبرهم الله تعالى فقبل اخبار الصادق رسولنا
محمد صلى الله عليه وسلم لنا بان الانبيآ والمرسلين كلهم ناجون عند الله
تعالى كنا نقول آدم وكل معين من اولاده الى يوم القيامة نجا منهم
غير معلومة عندنا لكن الآن نقطع بالنجاة للانبيآ والمرسلين من آدم
الى محمد صلى الله عليه وسلم من غير شبهة ولا شك لتحققنا ذلك
باخبار الصادق صلى الله عليه وسلم واما غير الانبيا والمرسلين
من اولاد آدم فما اخبر الله تعالى عنهم في كتابه القديم بكفرهم نصا
باعينهم كالذي اخلد الى الارض وابي لهب وامرأة لوط
وكالاقوام الكافرة الماضية ونحو ذلك فنقطع لهم بعدم النجاة
واما فرعون فقد رأيت الشيخ الشعراني المصري رحمه الله تعالى
ذكر في كتابه اليواقيت والجواهر في عقايد الاكابر خلافا في نجاته
وعدم نجاته منقول ذلك عن عدة من العلماء الكبار تبعهم في ذلك
العارف ابن العربي رحمه الله تعالى ورأيت رسالة مستقلة
لبعض العلماء في صحة ايمان فرعون بناء على انه لم يرد في القرآن
نص في عدم نجاته وكذلك اذا ورد نص في القرآن بنجاة احد
نقطع له بذلك كنجاة امرأة فرعون ونحو ذلك وكذلك اذا
ورد في السنة المتواترة او المشهورة خبر بعدم نجاة احد كاهل القليب
في بدر وكحابسة الهرة التي راها النبي صلى الله عليه وسلم في النار
ونحو ذلك او خبر بنجاته كالعشرة المبشرة بالجنة وفاطمة والحسن

والحسين على ما صرح به في شرح العمدة فنقطع بجميع ما جاء في القرآن
العزيز او اخبر عنه الصادق صلى الله عليه وسلم على حسب ما جاء ما وافاه خبره
صلى الله عليه وسلم من نجاة او عدمها واما ما لم يرد فيه نص بنجاة او غيرها
في الكتاب او السنة فلا نقطع له بنجاة ولا هلاك ارأيت مثل الائمة
المجتهدين والمحققين العارفين من السلف هل كانوا يقطعون لانفسهم
بجنة او نار حاشا وكلا بل كان الغالب عليهم الخوف من سوء الخاتمة
فلذلك نحن لا نقطع لهم بالجنة بل نحسن الظن بهم من غير قطع نقل
والدي رحمه الله تعالى في حاشيته على شرح الدرر قال من قطع لاحد
بعينه من ائمة الهدى كابي حنيفة ومالك والشافعي فقد اخطأ
وكذا الجنيد وابو يزيد والشبلي ونحوهم من الصالحين انتهى وكلامنا
هذا كله في حق شخص معين او جماعة معينين فاضبط ذلك ولا
تغفل عنه واما اذا تكلمنا في حق بني آدم من حيث هم عموما يشمل
الانبيا ومن دونهم والكافرين ومن دونهم من العصاة فنقول
جميع الكافرين من بني آدم مقطوع لهم بالنار لان ايات القرآن
العزيز نص في ذلك قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به والسنة
المتواترة واردة بامثال ذلك والاجماع وقع على هذا واما
جميع المؤمنين فلا يجوز لنا ان نقطع لهم بالجنة لان المؤمنين
يجوز لنا ان نقطع لهم بالجنة لان المؤمنين منهم عصاة وطايعون
فالطايعون مقطوع لهم بالجنة من غير اعيانهم لان الله تعالى وعدهم
والله تعالى لا يخلف الميعاد واما العصاة فهم في مشيئة الله تعالى
ان شاء عذبهم من غير خلود وان شاء عفا عنهم لان الله تعالى

تعالى يقول ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء والمعاصي دون الشرك فغفرانها موكول الى مشيئة الله
تعالى ومشيئة الله تعالى مغيبة عنا والمراد غفرانها من غير توبة
هو الموكول الى مشيئة الله تعالى واما بعد التوبة فان الشرك يغفر
قطعا فان اسلام المشرك مقبول قبل الغرغرة بلا شبهة والاسلام
توبة اذ كل ذنب توبته بحسبه لان للتوبة ثلثة شروط ترك الذنب
والاقلاع عنه والندم على فعله والعزم على عدم فعله ابدا ما عاش
ولا بد من شرط رابع ان كان الذنب من حقوق العباد وهو
الاستحلال منه ولا تعارض بين هذه الآية وقوله تعالى ان الله
يغفر الذنوب جميعا يعني بعد التوبة لان من الذنوب الشرك
بالله تعالى والشرك غير مغفور قطعا فعلمنا ان ذلك مقيد بالتوبة
لان الآيتين نزلتا في حق وحشي قاتل حمزة لما اراد الاسلام فانزل الله
في حقه الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما فارسل بها النبي صلى الله
عليه وسلم اليه فلما سمعها قال ان في هذه الآية شروطا وانا
لا افي بها ولا اطيق ان اعمل عملا صالحا فنزلت ان الله لا يغفر ان
يشرك به الآية فقال وانا لا ادري لعلي ان لا اكون في مشيئة الله
تعالى فنزلت قل يا عبادي الذين الآية فقال اما هذه فنعم فاسلم
ولا شك ان اسلامه هذا توبة له فتكون الآية الاخيرة مقيدة
بالتوبة في غفران كل الذنوب قطعا بلا شبهة والاولى مطلقة عن
قيد التوبة لكنها مقيدة بمشيئة الله تعالى وذلك لاتفاق اهل السنة

والجماعة على ان العاصي اذا مات قبل التوبة فهو في مشيئة الله تعالى
واما اذا مات بعد التوبة فهو مغفور له فتقرر ان من يذا ان العصاة
غير مقطوع لهم بجنة ولا بنار وهم مؤمنون عند اهل السنة والجماعة
فلا يجوز ان يقول جميع المؤمنين مقطوع لهم بالجنة قطعا الا اذا
اراد من حيث ان مآل الجميع الى الجنة فحينئذ يصدق وان اراد
بالمؤمنين غير العصاة يوهم ذلك مذهب الخوارج القائلين
بان العصاة كفار غير مؤمنين وان اراد ما يشمل العصاة ولم يرد
المآل فهو خطا لما قدمنا من مصادرة النصوص القطعية ومع
ذلك فهو مذهب المرجئة يقولون حسناتنا مقبولة وسيئاتنا
مغفورة ولا يضر مع الايمان ذنب كما لا تنفع مع الكفر طاعة
فلا يبقى على طريقة مذهب اهل السنة والجماعة الا ما قدمنا من ان
المؤمنين على قسمين طايعين وهم في الجنة قطعا وعصاة وهم
في مشيئة الله تعالى ان شاء عذبهم وان شاء عفا عنهم فان قلت
لو قطع احد للعصاة بالجنة من غير عذاب يسبق انكالا على كرم الله
تعالى الواسع فما حكمه قلت يصير بقطعه ذلك مبطلا للشريعة من
اصلها وملغيا بجميع احكامها وذلك لان الشريعة التي خوطب بها
المسلمون امر ونهي ووعد ووعيد وثواب وعقاب ورضا
وغضب وجنة ونار فاذا قطع بالجنة للعصاة من غير عذاب
يسبق فقد ابطل الوعيد حينئذ والعقاب والغضب والنار
والغى حكمة ذلك التي هي التهديد والزجر عن المخالفة ولا يقال
بصرف جميع ذلك للكفار فلا يلزم ابطال شيء ولا الغاؤه لانا نقول

نقول الكفار مخاطبون بالايمان ولهم على تركه وعيد مخصوص
شديد اليم لا بالشريعة التي هي كناية عن فروع الايمان كالصلوة
والصوم ونحو ذلك مما يصير تاركها عاصيا لا كافرا ومرادنا هذا فافهم
هذا المحل فقد غلط فيه الجم الغفير غاية الامر ان العصاة من غير تعيين
احد منهم تحت المشيئة من غير قطع ولا بد ان يعذب الله تعالى منهم
فرقة في النار ويصفح عن فرقة ولكن كل من الفرقتين غير معين لانه
ورد يؤتى باهل الكبائر من امة محمد صلى الله عليه وسلم شيوخا وعجائز
وكهولا ونساء وشبانا فاذا نظر اليهم مالك خازن النار قال من
انتم معاشر الاشقيا فيقولون نحن اشقيا امة محمد صلى الله عليه وسلم
فاذا النداء من قبل الله تعالى يا مالك ادخلهم النار الباب الاول
منها الى آخر ما ذكره حجة الاسلام في كتابه الدرة الفاخرة في احوال الآخرة
وفي غيره اصرح من ذلك فلو حصل العفو عن جميع العصاة لكانت
امثال هذه الاخبار كاذبة وذلك محال فتعين انصرافها الى فرقة
منهم كما ذكرنا والفرقة الاخرى منهم يعفو الله تعالى عنها بمنه وكرمه
الواسع بعد استحقاقها للعذاب بسبب العصيان ولكن هذه الفرقة
التي يعفو الله تعالى عنها بعد عصيانها واستحقاقها العذاب غير معلومة
لاحد من الخلق فلا يجوز لاحد ان يقدم على المعصية ويعتقد انه
من تلك الفرقة المعفو عنها عاميا كان او عالما او عابدا او زاهدا
او غير ذلك ولا يظن ان قربه من الله تعالى مرجحا لكونه من الفرقة
المعفو عنها بعد العصيان فيفعل المعصية بناء على ذلك فانه يكون
سببا لسلبه ومقته لان اول الغيث قطر ثم ينسكب واول البحر

نقطة فاحذر هذه الورطة فانها مزلقة وقع فيها من لم يرد الله
ان يزكي حاله من الامة فذهب في مهواة التلف وهو لا يشعر لان
المعاصي بريد الكفر والاقدام عليها فيه استخفاف بالرب وترك
ادب فالحال الباقي مع المعصية مكر واستدراج يظهر ذلك لصاحبه
عند الموت حيث لا ينفع الندم والاتكال على كرم الله تعالى فقط
تعطيل لقهره وانتقامه وذريعة للامن مكر الله تعالى وصاحب الحال
هو المتخلق بسائر الصفات يخاف من المنتقم ويرجو من الكريم
وينبسط للباسط وينقبض للقابض الى آخره لا من تخلق بصفة
الكرم فقط فان غلبت عليه هذه الصفة وكان مسلوب الاختيار
منها فمسلم والله اعلم بما هنالك وقد خرجنا عن الصدد فلنرجع اليه
فنقول الحاصل فيما بنيت الرسالة عليه ان بني آدم لهم جهة
خصوص وجهة عموم فجهة الخصوص لا تقطع لاحد بخصوصه بجنة
او نار الا للانبياء جميعهم ولمن ورد تخصيصهم كالعشرة فتقطع لهم
بالجنة وكذلك من ورد تخصيصهم بالنار تقطع لهم بها واما جهة العموم
في الكفار كلهم تقطع لهم بالنار والمؤمنون نفصل فيهم فالطايعون
نقطع لهم بالجنة والعصاة نتوقف فيهم ونكلهم الى مشيئة الله تعالى
هذا كله في حق بني آدم الاحياء والاموات والماضين والآتين
فاغتنم هذا التحرير فانه خلاصة ما يقف عليه التحرير وحسبنا الله
ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير واما الملائكة فنعتقد في جميعهم
العصمة وانهم كلهم ناجون وان كانوا هم خايفين من المكر لشدة
قصة ابليس فالخوف انما هو حصن النجاة وسرها واما الجان ه

الجان فابليس منهم نقطع له بالنار وكذلك جميع الشياطين الا
شيطان النبي صلى الله عليه وسلم فتوقف فيه لان النبي صلى الله عليه
وسلم قال اسلم شيطاني ولكن بعد اسلامه هل هو عاص ام لا
وهل هو ناج ام معذب لا ندري والجان المؤمنون كالبشر
نقول الطائعون منهم في الجنة قطعا والعصاة في المشيئة
والله تعالى هو الموفق الى الصواب ومنه الهداية
واليه المآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين
ورضي الله تعالى عن جميع المؤمنين الطائعين
في كل حين آمين والحمد لله
رب العالمين

٢